عناصرُ حفظ كرامة المرأة، ودورُها التربوي في نمط الحياة الإسلامي

علي نقي فقيهي [1]

خلاصة البحث

يرمي هذا البحث إلى معرفة عناصر حفظ كرامة المرأة، وشرح دورها التربوي في نمط الحياة الإسلامي، والذي تمّ باستخدام المنهج الوصفي التحليلي. وقد تم جمع بيانات البحث باستخدام استمارات الاستبيان بعد مراجعة المصادر المتوفرة وذات الصلة وتحليلها بالطرق النوعيّة.

ومن إنجازات البحث هو تحديد ستّة عناصر لحفظ كرامة المرأة، وهي: الوعي بالمواهب الفطريّة، والعناية بالقدرات المكتسبة، والالتفات إلى آثار الكرامة، وتنمية الحياء، وتحسين احترام الذات، وتوعية المرأة بحقوقها، فضلاً عن تحديد خمسة أدوار تربويّة في نمط الحياة الإسلامي، وهي: تكوين شخصيّة سليمة، وتحسين مستوى التديّن، والسلوك المعتزّ في الحياة، واجتناب المعاصي، وزيادة الشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة. فإنَّ الاهتمام بهذه العناصر يمكن أن يوجّه حياة المرأة في المجتمع نحو نمط حياةٍ دينيٍّ.

المفردات الرئيسة: كرامة المرأة، العناصر، الدور التربوي، نمط الحياة الإسلامي.

١. أستاذ مساعد، قسم العلوم التربوية، جامعة قم، قم، إيران. an.faghihi@qom.ac.ir .

المقدمة

من أهمّ الموضوعات في مجال معرفة المرأة وتعليمها مسألة الحفاظ على الكرامة والمكانة التي قد كتبت لها في التكوين والنظام الأخلاقي والحقوقي. إنَّ لفظة «الكرامة» هي اسم المصدر من «الكرم» وتعني العزة والعُلوّ في الطبيعة البشرية؛ ومن آثارها العظمة والفخامة والشرف والجود والسخاء؛ فهي بهذه المعاني تستخدم في مقابل الذُّل والهوان، والشاهد على ذلك هو الآية الكريمة: ﴿**وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ**﴾[١]. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم خمسين مرّة مع مرادفاتها، وفي كلّ المواضع لها معنى الكرامة والسمو في الذات. طبعاً إنّ مواصفات الكرامة تختلف باختلاف المصاديق والأفراد، بمعنى أنّ الكرامة قد تُستخدم في الموضوعات الخارجيّة، نحو: «**كتابٌ كريم**» أو «**مِنْ كلّ زَوْجٍ كرِيمٍ**»، وأحيانًا تصف الكلام، نحو: ﴿**وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كرِيماً**﴾، وتارةً في خصوص الإنسان نحو: ﴿**وَلَقَدْ كرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكرَمَكمْ عِنْدَاللهِ أَتْقَاكم**﴾، أو تستخدم في خصوص الملائكة، كهذه الآية: ﴿**كرَاماً كاتِبِينَ**﴾، أو تستعمل كصفة من صفات الله عز وجل، نحو: ﴿**فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ لكنّ المعنى العامّ في كلّ هذه المصاديق شيء واحد، وهو أن يكون الشيء عزيزاً وشريفًا في ذاته[٢].

إنّ المراد بكرامة المرأة هو كيفيّة وجودها وتمتّعها بالشرف الإنساني الذي تمّ التأكيد عليه في الآيه الكريمة: ﴿**وَلَقَدْ كرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾. إنَّ النُظُم الدينيّة والتربويّة والقانونيّة والأخلاقيّة للأمم والنحل المختلفة، تُظهر مستوى الاهتمام والتقدير لمكانة المرأة وكرامتها الإنسانيّة وتقييمها كجنسٍ بشريٍّ، وفي نظر البعض لا تتمتع المرأة بالكرامة، كما ورد في التعاليم المسيحيّة أنّ بين المرأة والرجل فوارق ماهويّة وجوهريّة، بدعوى أن آدم خُلق قبل حواء، وآدم لم ينخدع بالشيطان، لكن حواء انخدعت

١. ١٨/٢٢.

٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١٠/٥٠-٤٩.

بالشيطان وورّطت آدم معها[١]. ويقول ترتولين:

المرأة باب يدخل منه الشيطان.

وبسبب امرأة اضطرّ ابن الله على الموت! لذلك يجب أن ترتدي دائماً ثياباً رثّة وخرقة الحداد.[٢]

ويعتقد القديس أمبوس أيضاً أنّ حواء قادت آدم إلى الخطيئة، وليس العكس؛ ويحكم العدل أن تطيع المرأة من قادته الخطيئة كوليّ أمره[٣] وقد اعتبر توماس أ. كويناس المرأةَ موجوداً ناقصاً وعبارة عن ذكرٍ خَدِج ومشوَّه، باعتبارها أضعف من حيث الحجم والعقل والإرادة، وفي رأيه، أنّ المرأة تحتاج إلى الرجل في كلّ شيء، لكنّ الرجل يحتاج فقط إلى المرأة للتناسل، فيجب على المرأة أن تعتبر الرجل سيّدها الطبيعي، وعليها أن تقبل توجيهاته وتخضع لنظامه وعقابه، وهكذا تنال المرأة غايتها المقصودة والسعادة[٤].

يعتقد توماس أ. كويناس أيضاً أنّ المرأة تابعة للرجل بسبب ضعف طبيعتها سواء فكريةً كانت أو جسدية، والرجل هو بداية المرأة ونهايتها، كما أنّ الله هو الأول والآخر بالنسبة إلى جميع الموجودات. ووفقاً لقانون الطبيعة، يجب أن تكون المرأة مطيعة ومنقادة للرجل، بينما العبد ليس هكذا. ويرى هذا العالِم الكبير أنّه في حالة التوازن بين الأبوين، على الأبناء أن يحبّوا آبائهم أكثر من أمّهاتهم. ويعتقد توماس القديس أنّ المرأة لا تتوافق مع المقصود الأوّل من الطبيعة، وهو السعي إلى الكمال، ولكنّها تتوافق مع المقصود الثاني من الطبيعة، وهو التعفّن والتشوّه والتراخي[٥].

يعتقد القديس "أوغسطينوس"، الذي قد يُدعى أبرز عالم مسيحي في جميع الأعصار،

١. آشنايي با أديان (الكتاب المقدس)، نقلاً عن تيموتاؤس، الكتاب المقدس، الرسالة الأولى لبولس، ٢: ٨- ١٥.
٢. جنس دوم: حقايق وأسطوره ها ١٥٩/١.
٣. المصدر نفسه ١٥٩/١.
٤. جنس دوم: حقايق وأسطوره ها و١/١٩ و١٥٩.
٥. زنان از ديد مردان.

أنّ المرأة هي حيوان ليس قويّاً ولا حازماً، وأنّ المرأة تتغذّى على الشرّ، وهي بداية كلّ الخلافات والمعارضات، والطريق إلى كلّ أنواع الفساد الأخلاقي. كما ذكر القديس "جان كريسوستوم" أنّه من بين جميع الحيوانات البريّة، لا يوجد أكثر ضرراً من المرأة. وقد أورد "ويل ديورانت" أيضاً:

كانت المرأة عند الكهنة والعلماء المسيحيين في العصور الوسطى، تحظى بنفس المكانة التي كانت عند بطريرك القسطنطينية ويوحنا ذهبي الفم حيث قال الأخير: إنّ المرأة شر لا بدَّ منه، وإغراء طبيعي، وكارثة مرغوبة، وخطر منزلي، وسحر مميت.

ويُستهان بالنظام الفكري للمرأة من قبل مصلحي الكنيسة المسيحيّة من خلال تعابير أعنف من تعابير المسيحيّة الكاثوليكيّة. فقد قال "جان جاك روسو"، المفكر السويسري الشهير:

إنّ المرأة تفتقر إلى خصائص المواطنة، واعتبر أنّ صفات مثل العقل والقوة والاستقلاليّة هي صفات ذكوريّة[1].

كما اعتبر "كيركيغارد" أنَّ من الشقاء أن تكون امرأة[2].

إنّ ما سبق، هي أمثلة على التعليقات حول المرأة. ومن الضروري العناية بوجهة نظر الإسلام حول كرامة المرأة. حيث اعتبر الإسلام جميع أفراد المجتمع - رجالاً ونساءً- متساوين، فليس هناك أي ميزة ماديّة أو مكانة اجتماعيّة أو مرتبة أو طبقة أو ثروة تعتبر معياراً لقيمة الإنسان، بل إنّ القيمة تتعلّق بشيءٍ ما وراء هذه المعايير، وهو احترام ذات المرأة وطبيعتها الإنسانيّة، وما يُحدث فرقاً في مقدار ومدى هذه القيمة هو نوع الأنثروبولوجيا والتعريف الذي تقدّمه كلّ مدرسة للإنسان والذي من خلاله يمكن معرفة مدى رأس مالها الفكريّ والفلسفيّ ونوع نظرتها إلى كون.

١. مقدمه اي بر ايدئولوژى هاى سياسى.
٢. جنس دوم: حقايق وأسطوره ها ٢/٢.

وفي التعاريف المختلفة، توجد جهود مبذولة لاحترام المرأة والرفع من قيمتها، والتي تمّت تغطيتها بغطاء من التفكير والنمذجة[١] ولكن من بين هذه المدارس، تتميز مكانة المرأة في الإسلام، إذ هي تنبع من أنثروبولوجية عميقة تتحلى فيها المرأة -مثل الرجل- بخصائص مميّزة جداً قد رسمها الله بأجمل صورة: ﴿**أَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾[٢] ولمّا كان الإنسان أحسن المخلوقين، فقد أطلق سبحانه وتعالى على نفسه ﴿**أحسَن الخَالِقِين**﴾[٣] ولم تُرسم الجوانب المرموقة لكرامة الإنسان ولم تُبيَّن أسبابها ولم تؤخذ بعين الاعتبار كما رسمها وكرّرها وعني بها القرآن، والغرض من هذا التكرار هو التأكيد على مبدأ تربويّ بأنّ معرفة الذات والعناية بفضيلة الإنسان والجوهر الثمين الكامن فيه يتغذى من منبع حبّ الذات، تدعوه إلى صون كرامته وحراستها، وتقوده نحو القيم السامية والتربويّة، وضرورة هذه الكرامة تكمن في أهمّ جوهرةٍ منحها الله تعالى الرجل والمرأة، ولأجلها سجد لها الملائكة أجمعون، تلك الخاصيّة المتميّزة المتمثلة في الخشوع والخضوع أمام المعبود، علامةً على العبوديّة: ﴿**فَسَجَدَ المَلائكةُ كلُّهم أجمَعُونَ**﴾[٤].

في هذا الاتّجاه، الكرامة الإنسانيّة هي سلسلة الاتّصال بالكرامة الإلهيّة، وهي تجلب معها الأمن والاجتهاد وقبول النصح والعيش على ضوء القيم، ومن يتجاهل كرامة الإنسان ويعامل الناس بتكبّر واستخفاف فهو كافر ﴿**وَكَانَ مِنَ الكافِرِينَ**﴾[٥] ومطرود من عند الله: ﴿**قَالَ فَاخرُج فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾[٦] والتأكيد على جانب الكرامة هو إلى درجة أن التدريب عليها، وبلورتها، والارتقاء بها وإكمالها

١. موسوعة الإمام علي عليه السلام.
٢. التغابن: ٣.
٣. المؤمنون: ١٤.
٤. الحجر: ٣٠.
٥. البقرة: ٣٤.
٦. الحجر: ٣٤.

هو من أهداف نظام التعليم والتربية والدافع الأساس للرسالة النبوية:

إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاق[١].

وتبرز هذه الفكرة، أسس النظم القانونيّة والأخلاقيّة والتربويّة، وتحدّد واجباتها تجاه الكرامة الإنسانيّة للرجل والمرأة.

وكذلك إنّ هذا المبدأ الأخلاقي والتربوي والقانوني يشمل المساواة في الحقوق، وتعميم هذا المبدأ الأخلاقي يضمن مصالح الآخرين ومنافع جميع البشر[٢]. فإنّ أحد أهمّ محاور التربية الإلهيّة هو أن يصل الرجل والمرأة إلى كرامة النفس، ويجب خلق شعور بالقيمة الذاتية في جميع جوانب الحياة البشرية.

وبناء عليه، فإنّ نمط الحياة هذا يتماشى مع أهداف رسالة الأنبياء عليهم السلام والأبعاد الإنسانيّة المختلفة، وهو يولي اهتماماً لعناصر حماية كرامة النفس التي يخلقها الاستقلال الفرديّ والثقة بالنفس، بُغية تجلّي الشخصيّة الإنسانيّة، واحترام الذات، والتحرّك نحو النمو الفرديّ والاجتماعيّ والوصول إلى الكمال[٣]. ونظراً لهذه المطالب، فإنّ البحث الوصفي التحليلي الحالي من خلال المراجعات النوعيّة في شكل تحليل المحتوى، يحاول الإجابة عن السؤال التالي: ما مكوّنات صون كرامة المرأة؟ وما دورها التربوي في أسلوب الحياة الإسلامي؟

١) عناصر حفظ كرامة المرأة

ومن أهمّ النعم وأعظمها التي منحها الله الإنسان هي نعمة الكرامة والشرف الذاتي ومدى قابليّة الإنسان العالية جدّاً على التطوّر والتكامل والتي هي مصدر الحياة الطيّبة في الدنيا والآخرة، والحياة كهذه هي منوطة بصون الكرامة ليس إلّا.

١. بحار الأنوار ٣٨٢/٦٨.
٢. كرامت إنسان در نهج البلاغة.
٣. تربيت كريمانه در إنسان شناسي إسلامي.

١-١) التعرّف على المواهب الفطريّة

إنّ أساس كرامة المرأة في الإسلام هو العودة إلى ذاتها الإنسانيّة وفلسفة خلقها، إذ المرأة كالرجل، لديها عقل وإرادة، وقد مُهّد لها الطريق إلى الكمال، ولهذا فهي تتمتّع بالحرّيّة والكرامة الذاتيّة. وقد اعتُبرت كرامة المرأة مساوية لكرامة الرجل في القرآن. إذ يعتبر القرآن الذكر والأنثى متساويين من حيث القيمة الإنسانيّة والمعنويّة، وقد يخاطبهما بعناوين نحو ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ و﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ على نحوٍ سواء، ولا يُشاهَد فرقٌ بين الرجل والمرأة في الخطابات القرآنيّة، فهويّة المرأة الإنسانيّة متساويةً مع هويّة الرجل في مبدأ الخلق. وبينما كانت بعض الأفكار القديمة تعتبر المرأة جزءاً من الحيوانات ولا تعترف بإنسانيّتها، أعلن الإسلام بوضوح المساواة بين الرجل والمرأة في الخلق والإنسانية، وقدّم المرأة كأحد العنصرين اللذين نشأ منهما الإنسان: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾[١].

ومن منظار القرآن، تُعد حقيقة الرجل والمرأة واحدة وهي الإنسانيّة، وكون الإنسان رجلاً أو امرأةً هو من سمات هذه الحقيقة التي ظهرت بخاصيّتين لإكمال الخلق. ويتّضح وجه تميّز كلّ منهما من خلال التقوى الإلهيّة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٢]؛ ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾[٣].

وقد بينت الآيات أنّ الرجل والمرأة مخلوقان من جوهر وحقيقةٍ واحدة، والمقصود بالنفس هو أصل ذات الإنسان.

١. النساء: ١.
٢. الحجرات: ١٣.
٣. الأعراف: ١٨٩.

١-٢) العناية بالقدرات المكتسبة

وكما أن الذكر والأنثى، من منظار القرآن الكريم، متساويان في الكرامة الذاتيّة الإنسانيّة، فكذلك هما مختاران في الارتقاء بهذه الكرامة من خلال اكتساب البرامج التربويّة والأخلاقيّة والعلميّة والدينيّة واختيارها وتنفيذها، وتحقيق السعادة والكمال. وقد قال القرآن الكريم: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[١].

تثبت هذه الآية أنّ الحياة الطيّبة التي تنشأ من خلال العمل الصالح، علة نورانية القلب، وعلامة كمال المرء ووصوله إلى القرب الإلهي، ولذكر والأنثى في هذا الأمر سواء: ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٢]؛ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ...**﴾[٣].

وفقاً للإسلام، إن كرامة الرجل والمرأة وقيمتهما في الدنيا والآخرة هي رهن أعمالهما وسلوكهما، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ومن هذا المنظار يمكن للمرأة أن تكتسب كرامتها -مثل الرجل- من خلال التقوى والسعي المعنويّ والعمل الصالح والسلوك الإنساني، وقد ضرب القرآن الكريم أمثالاً للمرأة المثاليّة، نحو السيدة مريم عليها السلام وآسية زوجة فرعون، ممّن سبقن كثيراً من الرجال من خلال الاستقامة والكرامة المكتسبة.

١-٣) العناية بآثار الكرامة

إنّ المرأة التي تتزيّن بزينة الإسلام والإيمان وتوثيق علاقتها مع الله، والتحلي

١. النحل: ٩٧.
٢. غافر: ٤٠.
٣. آل عمران: ١٩٥.

بالمحاسن والمكارم الأخلاقيّة، وتأتي بالحسنات والأعمال الصالحة، هي مثل الرجل الذي يتزيّن بهذه الفضائل، من حيث التحلي بآثار الكرامة، أي الغفران والأجر الإلهي العظيم. فقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

ومن الواضح أنّ الاهتمام بهذه النتيجة المهمّة جداً يوفرّ أسساً نفسيّة لصون الكرامة، كما يحشد القوى الإنسانيّة في التحرّك نحو الرشد والتعالي والحياة السعيدة.

١-٤) تنمية الحياء

لم يُكل الله الإنسانَ في طريقه إلى الكمال إلى نفسه، فعُني بهدايته من الخارج، فضلاً عن تزويده من الداخل بالقوى التي ترشده إلى طريق السعادة. ومن هذه القيم الإنسانيّة التي يقدّمها الدين لكبح جماح الجسد المادي: «الحياء»؛ قال الراغب الأصفهاني: «الحياء إمساك النفس عن القبح، والامتناع عن الفعل القبيح»[٢]. فحقيقة الحياء هي أنّها خصلةٌ تحفّز الإنسان على فعل المعروف وترك المنكر[٣]. وعن الامام علي عليه السلام أنه قال:

«مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَه».[٤]

١. الأحزاب: ٣٥.
٢. المفردات في غريب القرآن.
٣. تحليل نو وعملي از أمر به معروف ونهي از منكر.
٤. ميزان الحكمة ١/٧١٦.

وحسب تعريف الحياء بناء على الأحاديث الواردة في هذا الخصوص، يتّضح أن من تحلى بالحياء امتنع عن المعاصي حيث تهيّأت له ظروفها، ومنعته قوّة الحياء من ارتكاب الذنوب، ولذلك فإنّ الحياء هبة إلهيّة تقود الإنسان إلى فعل الكثير من الحسنات، وتمنعه من فعل السيّئات قولاً وفعلاً، وتساعده على نيل الكمال الدنيوي والأخروي، وتُنجيه من الضلال والهلاك، إنَّ الحياء هو نابعٌ من فطرة الإنسان وعلامة على رشده؛ فيمكن للمرء من خلال الاحتفاظ بالجواهر الداخليّة والفطريّة الثمينة وتنميتها، تجنّب الرذائل الأخلاقيّة والمعاصي والتزيّن بالفضائل الأخلاقيّة العالية.

ومن الآثار الفرديّة والاجتماعيّة للحياء في نمط الحياة الإسلامي هو: إنشاء المحبّة الإلهيّة، وتجنب ارتكاب المعاصي، والحلم والمداراة، وستر العيوب، وضبط الغرائز الجنسيّة، والسكون النفسي، ومراعاة الحجاب والحريم الخصوصي للرجل والمرأة، واحترام الحقوق الاجتماعيّة، وإدارة الحكومة بشكلٍ صحيح، وضمان الأمن الاجتماعي[1].

١-٥) تنمية احترام الذات

ليس من شك أنّ طلب العزّة والاحترام من الميول الفطريّة للإنسان ويزيد من قيمته. إنّ الشعور بالقدرة والنجاح والقيمة الذي يدل على احترام الذات، يعطي الأولويّة لصون الكرامة في علاقة الفرد بالآخرين[2] إنّ احترام الذات هو الشعور بالقيمة، والذي يرتبط بمعرفة النفس والقدرات الذاتيّة والإيمان بالذات حقيقةً. ونظراً لأهدافه القيمية يتحلى المرء بمشاعر جيّدة تجاه الحياة. وفي الواقع، يعمل التقدير الذاتي كنظامٍ آمن ويخلق المقاومة والقوّة والقدرة اللازمة للإصلاح والتنمية الأخلاقيّة والتربويّة[3]

١. حيا از منظر آيات وروايات، آثار وپيامدهاى فردى واجتماعى آن.
٢. هكارهاى ارتقاي سلامت رواني فرزندان؛ برگرفته از سبك زندگى أهل بيت عليهم السلام.
٣. عزت نفس، احترامي به ملكوت خويشتن با نگاهي از دريچه روان شناسي ودين مجلة طهورا.

فإنَّ الشعور بالعزّة والكرامة يمهّد أرضيّة للنشاطات التربويّة حتّى يتمكّن الناس من نيل الكمال الإنساني. وتقوم العزّة الاجتماعيّة والسياسيّة للمجتمع الإسلامي على الكرامة النفسيّة وشعور الأمة المؤمنة بأنّها ذات قيمة، ولهذا يجب، في نمط الحياة الإسلامي، تنمية الشعور باحترام الذات لدى الناس حتّى يتمكّنوا من الانضمام إلى زمرة من نالوا كمال الإنسانيّة. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

العزُّ أن تَذلَّ للحقِّ إذا لزِمَك[1].

وتقدير الذات وتقدير الآخرين يؤديان إلى قبول الحقّ والتمسّك به، ومعرفة قيمة الأحكام الإلهيّة، من خلال الوعي بانسجام الكرامة مع القيم الدينيّة والروحيّة، والشعور بالوظيفة تجاه الشريعة الإلهيّة والالتزام بأمور كحفظ الكرامة والمعاملة المُشعرة بالعزّة، واتّخاذ الحذر إزاء أمورٍ كالجهل والأعمال المنافية للقيم والمشعرة بالذلّة بشأن الذات والآخرين[2].

١-٦) توعية المرأة بحقوقها

ومن القضايا المهمّة التي تؤدي دوراً في الكرامة الإنسانيّة هو حقّ الملكيّة، فلم يكن يعتقد أغلب الأمم قبل الإسلام أن تكون للمرأة حقّ في الملكيّة الاقتصاديّة، لذلك كانت المرأة محرومة من الميراث. وفي بعض الأمم، حتّى ولو كان للمرأة حقّ في امتلاك الأموال، لم يكن لها حقّ التصرف فيها، فكان ممنوعاً على المرأة أن تنفق، أو تتاجر، أو تقايض و...إلخ، بأموالها. ففي مثل هذه الأجواء، قد منح الإسلام للمرأة الحقّ في الحصول على الحيازة والتصرّف في أموالها كما تشاء، حيث قال عزّ من قائل: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾[3].

---

١. ميزان الحكمة ١٧ / ح ١٢٨٣١.

٢. المصدر نفسه ١٧ / ح ١٢٨٣٣.

٣. النساء: ٣٢.

وفي وقتٍ كانت فيه بعض الأمم لا ترى للمرأة حقّاً حتّى في الأكل والزواج، وكانت تُعاملها كالحيوان -حيث تكون قرضاً أو هديّة أو إيجاراً أو وسيلة للاتجار بأيدي الرجال، فطُمست كرامتها وشخصيتّها- وقف القرآن في وجه هذه المعاملة الظالمة وندّد بالأفكار الموهومة ضدّ المرأة، حيث اعتبر المرأة مساويةً للرجل حتى في الحقوق الزوجيّة: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾[١]. ويعني أنّ مثل الزوجين مثل اللباس وسيلة للزينة والحماية تجاه الآفات المختلفة، ولا يجوز التمييز بينهما.

لقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقًا أسريّة قد تكون أعلى من حقوق الرجل، والتي تشمل: الحقّ في اختيار الزوج، والحقّ في المهر، والحقّ في النفقة، والحقّ في المعاملة الحسنة والمعاشرة بالمعروف من جانب الزوج، والحقّ في السكن. وإن إكرام المرأة واجبٌ لا يقوم به إلّا الكريم[٢]. وعن رسول الله ﷺ أنه قال:

ما أكرم النساء إلّا كريم وما أهانهنّ إلّا لئيم[٣].

ومن الإجراءات التي يمكن درجها في تنمية كرامة المرأة هو منحها الحقّ في المشاركة الاجتماعيّة والسياسيّة. فإنّ كلّ تحوّلٍ اجتماعيّ يحتاج إلى إرادة المرأة، كيف لا وهي نصف المجتمع، وهي المؤثرة في النصف الآخر، وتتمتّع المرأة بقوّة التربية والمشاركة والإدارة والمقاومة، فلا يتمكّن أيّ مجتمع من التقدّم والتنمية إلّا إذا سمح بالمشاركة الحقيقيّة للمرأة وبما يتوافق مع قدراتها وخصائصها الروحيّة والجسديّة. ويقال في تعريف المجتمع الديناميكي والقويّ أنّه هو المجتمع الذي يتمتّع برأس مال اجتماعي أعلى، فيمكن أن تؤدّي مساهمة المرأة في إدارة المدن -وخاصّة الأحياء- إلى زيادة رأس المال

١. البقرة: ١٨٧.
٢. نهج الفصاحة.
٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٣٧١/١٦.

الاجتماعي أكثر ممّا ينتج عن مساهمة الرجل؛ لأنّ المرأة هي مركز الأسرة، والأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع، فيعتمد وجود مجتمع ديناميكي وتقدّمي وحيوي على مشاركة المرأة.

إنّ الإسلام، نظراً لخصائص المرأة الفطريّة، سمح لها بالعمل في بعض الشؤون الاجتماعيّة جنباً إلى جنب مع الرجل. فقد بايع رسول الله ﷺ الرجال بعد فتح مكّة، ثمّ أمر النساء بمبايعته بطريقةٍ خاصّة، بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[١].

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان فكريّان وشرعيّان وإنسانيّان واجتماعيّان تقوم عليهما جميع الإصلاحات الاجتماعيّة، ولقد اعتبر القرآن المرأة شريكة للرجل في هذا الواجب الاجتماعي، ذلك بقوله: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[٢].

وقال الإمام الخميني رحمه الله في شرحه لدور المرأة في بنيان المجتمع الإسلامي: في النظام الإسلامي، تستطيع المرأة، باعتبارها إنساناً، المشاركة الفعالة مع الرجل في بناء المجتمع الإسلامي، ولكن لا يجوز اعتبارها مطية؛ فلا يحق لها أن تتنزل إلى هذا المستوى، كما لا يحق للرجال أن يفكروا بهذه الطريقة في شأنه[٣].

وقال أيضاً: نحن نرى أن كثيراً من إنجازاتنا مرهونة بجهودكن، أيتها السيدات! أنتن تُضاعفن النشاط في الرجال فضلاً عن نشاطكنّ، وقد عانيتن من أذى ومعاناة نفسيّة خلال فترة الطاغوت، وقد استطعتم بقدراتكنّ

١. الممتحنة: ١٢.

٢. التوبة: ٧١.

٣. جايگاه زن در انديشه إمام خميني .

والتزامكنّ - والحمد لله – طرد القوة الشيطانية من صفحة العالم[١].

إنّ تعزيز شرف الأمومة وتربية الأبناء هو جانب آخر من مسؤوليّات المرأة القانونية، وكان الإمام الخميني﵀ بفهمه الصحيح لدور الأمّ، يؤكد أهمّيّته ويقدره وينتقد مخطّطات الاستعمار الخبيثة في تجاهل هذا الواجب المهم قائلاً: لسوء الحظ، أرادوا في تلك الحكومة الاستبداديّة، استلاب هذه المهمّة من الأمّهات، وروّجوا لعدم إنجابهنّ وتربيتهنّ للأطفال.. ولقد حطّوا من هذه الوظيفة المشرفة في نظر الأمّهات، لأنّهنّ أرادوا فصل الأطفال عن الأمّهات، وتربيتهم في دور الحضانة، وسوق الأمّهات لفعل ما يشاؤون[٢].

وقد أضاف سماحته أنّ مهمّة الأمّ هي مهمّة الأنبياء، إذ تعمل في سبيل تربية الإنسان. وأكد بيان شرف الأمومة الذي يؤدي دوراً مهمّاً في مكانة المرأة وعلوّ منزلتها الإنسانيّة: أنتنّ تتمتّعن بشرف الأمومة، وتتقدّمن على الرجال في هذا الشرف، وتحملن مسؤوليّة تربية الأطفال في أحضانكنّ، فإنَّ أولى مدرسةٍ تدخل فيها الطفل هي حضن أمّه، فالأمّ الصالحة تربّي الطفل الصالح، وإذا كانت الأم منحرفة - والعياذ بالله-، يخرج الطفل منحرفاً من حضنها... إنّ كلام الأمّ وأخلاقها وسلوكها يؤثّر في الأبناء[٣].

ومن الحقوق التي يمكن أن تعزّز كرامة المرأة إيجاد الأسس اللازمة للتعليم ومواصلة الدراسة، فالتعليم والتعلُّم في مختلف مجالات العلم والثقافة، مع التركيز على التربية وتهذيب النفس، يزوّد المرأة بالشخصيّة العلميّة والثقافيّة والمعنويّة ويزيد من كرامتها الإنسانيّة؛ فلا يدرك الإنسان فلسفة الكون وعلّة وجوده في هذا العالم الغامض ودوره فيه ومسيره نحو الكمال إلّا في ظلّ العلم والمعرفة؛ إذ إن طلب العلم في الإسلام

١. المصدر نفسه.

٢. صحيفة الإمام ٩٠/٨.

٣. المصدر نفسه ٩١/٨.

فريضةٌ على كلّ مسلمٍ ومسلمة، إضافة إلى أن الدراسة والتعليم حق للمرأة. قال الإمام الصادق عليه السلام عن دور العلم والمعرفة وأهمّيّتهما في تكوين الحياة السعيدة: «**لَا يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِماً أَنْ يُعَدَّ سَعِيداً**»[١].

ثمّة حقّ آخر يمكن استخدامه لاستعادة الكرامة الإنسانيّة للمرأة، ألا وهو الاهتمام بشخصيّة المرأة الإنسانيّة وفضائلها الأخلاقيّة. يقول الإمام الخميني رحمه الله في هذا الصدد: لا يجوز للمرأة أن تصبح ألعوبةً بأيدي الرجال، ولا يحقّ لها أن تحطّ من مكانتها، و-لا سمح الله- أن تتبرّج وتتباهى أمام الفاسدين، يجب أن تكون المرأة إنسانة، تقية، شريفة، كريمة.. إذ خلقها الله بكرامة[٢].

تكريم المرأة في نظر الإمام الخميني رحمه الله أمرٌ مهمٌّ لدرجة أنّه قد اعتبر المرأة إنسانةً عظيمةً ومربّيةً للأجيال ومصدر سعادة أو شقاوة البلد، قائلاً: المرأة هي إنسانة عظيمة ومربية للأمة، إذ يتربّى الناس في حضن أمّهاتهم، فإنّها هي المرحلة الأولى لإصلاح الناس رجالاً ونساءً، وهي مربية الأجيال، فيعتمد سعادة البلاد وشقاوتها على وجود المرأة، فإنها تستطيع أن تصنع الإنسان وتعمّر الديار بتربيتها الصحيحة، فإنّ أصل السعادة كامن في تربية المرأة[٣].

٢) الأثر التربوي لحفظ كرامة المرأة في نمط الحياة الإسلاميّ

لا شكّ أنّ مجموعة العناصر المذكورة هي أساس حفظ كرامة المرأة في الحياة، وتوفّر هذه المكونات خصائص نفسيّة وعاطفيّة واجتماعيّة واقتصاديّة ومعنويّة ودينيّة على شكل روابط متسلسلة. فيجب تعزيز مجموع هذه العناصر في الأشخاص لتحقيق جميع آثارها.

١. تحف العقول.

٢. صحيفة الإمام ٢٨٧/١.

٣. المصدر نفسه ٥٧/٧.

٢-١) تكوين شخصيّة سليمة

إنَّ حفظ الكرامة يؤدّي إلى تكوين شخصيّة سليمة، فمن منظار القرآن الكريم يجب على الإنسان أن يخرج جوهر كرامته من القوّة إلى الفعل، بغية نيل الأهداف التربويّة العليا المغروسة في فطرته، وأن يصنع لنفسه شاكلة سليمة، ويتصرّف على أساسها. أي: إنّ الاختيارات والسلوكيّات وردود الفعل والصداقات والعداوات وكيفيّة التعبير عن المشاعر يجب أن تنبع من شخصيّته السليمة وهويّته المنشودة، إنّ الشخصيّة السليمة هي أصل السلوكيّات والعواطف الإيجابيّة والبناءة. وأمّا الشخصية التي لا تتّصف بالسلامة فهي منشأ السلوكيّات غير العقلانيّة وغير اللائقة. ومن أجل فهم الحياة الطيّبة والشعور بالأمان والرضا والسعادة، يجب على المرء إصلاح شاكلة شخصيّته، أي نظام معتقداته وأفكاره وعاداته وخصائصه الأخلاقيّة، فإنّ القرآن الكريم يعتبر شاكلة الكرامة الإيمانيّة والعمل الصالح الذي يقوم عليها، عاملاً لنيل الحياة الطيّبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[١] وقال في موضعٍ آخر: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾[٢].

وما دام أنّه لم يصنع شاكلة سليمة لنفسه، فلا يمكنه جني ثماره الطيبة. ومن منظار الإسلام من يهتمّ بفعل العمل الصالح تقرباً إلى الله، سيحصل على الشخصيّة السليمة، وبالتالي يركّز كلّ أهدافه وسلوكيّاته واتّجاهاته لتحقيق هذه الغاية القصوى أي العبودية لله، ويصبح لديه أنماط فكريّة وعاطفيّة وأخلاقيّة وسلوكيّة ثابتة، ولا تعتريه أزمة الهويّة أبداً[٣].

إنّ الحفاظ على كرامة النفس والشعور بالقيمة الذاتيّة لدى المرأة من جهة، واجتناب التورّط في مستنقع المعاصي والأهواء النفسانيّة من جهةٍ أخرى، يمكن أن يساعد في تحسين سلوكيّاتها

١. النحل: ٩٧.

٢. الإسراء: ٨٤.

٣. شخصيّت سالم در انديشه إسلامي، نگاهى به رابطه آن با نماز در دوران جواني.

وتنمية شخصيّتها. فيجب على النظم التربويّة اتّخاذ خطواتٍ عظيمةٍ في هذا الجانب، وفي ظل إحياء هذا الشعور والثقة بالنفس واحترام الذات لدى المرأة وتكريمها.

٢-٢) تحسين مستوى التديُّن

إنّ الإنسان بطبيعته كائنٌ مهتمّ بالدين، وله ميلٌ وعلاقةٌ معرفيّةٌ بالله وبالقيم (الدينيّة)، ويريد أن يكون إلهيّاً بالفطرة، وأن يسير في اتّجاه الخير والصلاح، ويتجنّب كلّ ما يخالف الدين ويتعارض مع المسار الإلهي والفضائل الإنسانيّة. فهذه العلاقة المعرفيّة الجاذبة للإنسان نحو الدين هي فطريّة، وهي ركيزة صلبة للحياة الماديّة والمعنويّة ومصدر الأمن النفسي للإنسان، حيث تمهّد له الطريق لنيل الشرف والعزّة والكرامة، وتمنعه من حركاتٍ غير حكيمةٍ ومعاديةٍ للقيم؛ فكلّ إنسانٍ قادرٌ بشكلٍ طبيعيٍّ على أن يكون متديّناً، ويمكنه تحسين مستوى التديّن من خلال تنفيذ العوامل التي تؤثّر في التديّن، شريطة ألّا تمنع العوامل البيئيّة نموّه الطبيعي ولا يحدث انحراف عن مسار الفطرة.

ومن العوامل التي تزيد من قوّة تدين المرأة، الحفاظ على كرامتها، فإنّ الكرامة والتديّن مترابطان، لأنّ الكرامة هي محور الدين، والدين هو محور الكرامة، وإنّ ظهور الإيمان هو من الآثار المهمّة لكرامة النفس، ولأنّ الإيمان علامة الكرامة، فهو يؤدي دوراً فاعلاً في خلقها والحفاظ عليها، وأمّا الإيمان بالنسبة للمرأة ذات الكرامة، فله مفهومٌ واسعٌ في الفطرة الإنسانيّة وذاتها الطاهرة، وله علاقةٌ مباشرةٌ بروحها وجسدها، وهو يعطي المرء أبعاداً متعدّدة، ولا يمكن لأيّ جوهرةٍ أخرى أن تمنح المرأةَ الكرامةَ وتحافظ عليها كالإيمان، من خلال التمهيد لطلب الفضيلة والتقوى والرحمة والمروؤة.

٢-٣) التحلّي بالسلوك المعتزّ في الحياة

إنّ تعزيز الشعور بالعزّة والمنزلة الاجتماعيّة هو رهن احترام الذات وكرامة النفس؛ وبالتالي، فإنّ صون الكرامة يعلّم المرء مدى عزّته ومكانته الاجتماعيّة، وإنّ كرامة

النفس تخلق مكانة خاصّة وحرُمة وشرافة للمرأة، إذ تجد مكانتها القيمة من خلال معرفة مكانتها الرفيعة كما تتشجّع على الحركة نحو أهدافها التربويّة العليا، وهناك العديد من الأسباب التي تثبت أن كرامة النفس هي أساس الحياة البشريّة المتعاليّة وعامل تنمية السلوك المفعم بالعزّة في الحياة؛ قال الإمام علي عليه السلام:

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ.[1]

كما قال في وصيته لابنه:

أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغائب فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً.[2]

ويُفهم جيّداً من خلال إمعان النظر في هذه المضامين أنّ الغاية هي تنمية الإنسان ووصوله إلى الكمال، وفي هذا الصدد، فإنّ حفظ الكرامة، هو عاملٌ تربويٌّ يمكنه تحقيق هذه الغاية من خلال أصلٍ تربويٍّ مهمٍّ، كما أنّ شأن المرأة قائمٌ على تأثير هذا الشعور في حياتها الفرديّة.

ومن بين الوظائف المهمّة الأخرى لكرامة النفس، التأثير في سلوكيات الحياة الاجتماعية، إذ إنّ كرامة المجتمع بشكلٍ عامّ تعتمد على تربية نفوس المجتمع وتنمية أرواحهم. إنّ شعور الناس بالعزّة يوجب الاستقلال والتقدّم وروح الجهاد والدفاع في المجتمع، حيث يعتبر كلّ شخصٍ إنساناً مهما كانت مكانته ومرتبته الاجتماعيّة، وله الحقوق المدنيّة نفسها كسائر الناس، ولا يجوز لأحدٍ أن يهين الآخر ويهتك حرمته حتّى ولو ارتكب أسوأ الجرائم، بل المعيار في التعامل مع الآخرين هو شخصيّاتهم الإلهيّة ونفوسهم الملكوتيّة. فمن أجل تربية مواطن مثالي وخلق هويّة دينيّة وثقافيّة والتمهيد

١. ترجمة وشرح نهج البلاغة.
٢. نهج البلاغة، كتاب ٣١.

لغرس الثقة بالنفس والعدالة الاجتماعيّة في النفوس، من الضروري الانتباه إلى كرامة النفس، لأنّ هذه الأمور تحافظ على سلامة المرأة جسديّاً ونفسيّاً وتحمي أسلوب حياتها من القهر والأذى في ظلّ محوريّة تكريم الإنسان. وبعبارةٍ أخرى: إنّ الصحّة النفسيّة وتنظيم الغرائز وهمّة العقل والنفس المطمئنّة الناتجة عن هذه الكرامة، توجب تحسين مستوى الكرامة الإنسانيّة وتنميتها في مسار التكامل.[١] وهذا الاحترام للمرأة يجعلها تعتبر نفسها جديرة بالإكرام، وتنظر إلى كلّ إنسان كنفخة من الروح الإلهيّة، وتحاول الحفاظ على كرامته (فضلاً عن كرامة نفسها).

٢-٤) اجتناب المعاصي

إنّ حفظ كرامة المرأة عامل مؤثّر في تكوين بصيرتها الأخلاقيّة العميقة، لأنّ احترام الذات هو أساس النظام الأخلاقي، حيث ينصبُّ التركيز من خلاله على قيمة الذات وتحقيق المنصب الرفيع للإنسان. فإذا نال الإنسان هذا المستوى من معرفة النفس وشعر بشرفها وكرامتها، فعندئذٍ يمكنه أن يقيم علاقة مع ذاته الملكوتيّة التي هي مصدر كلّ الفضائل الحسنة والخصال الحميدة والخلقيّات الجميلة، ويدرك نفسه من خلال العلم الحضوري[٢] وهذه العلاقة تجعله حذراً قبال أيّ رذيلةٍ أخلاقيّةٍ تُبعده عن الله، فإنَّ حفظ الكرامة له أثرٌ كبيرٌ في تنمية الصفات الأخلاقيّة، ولكي تتجّه المرأة نحو القيم الإنسانيّة السامية، لابدّ من مساعدتها في إحياء كرامتها الذاتية وتحفيزها، وبهذه الطريقة تدرك المرأة أنّه لا يمكنها حماية رأس المال هذا إلّا في ظلّ احترام الذات ووقاية النفس، والتي تتماشى مع عبادة الله، ومن أهمّ جوانب التأثير الأخلاقي تجنّب العجب والأنانيّة، وخلق شعور بالامتنان والشكر لله، والعفو والمروؤة، إنَّ معرفة مكانة الإنسان في خلق الله وإن كانت مدعاةً للفخر والمباهاة، إلّا أنّها هو في الوقت

١. التعليم والتربية في الإسلام.
٢. فلسفة الأخلاق.

نفسه عامل لتجنب الكبر والغرور. إنّ كرامة الإنسان بالغة القيمة لدرجة أنّ الله سبحانه قد أمر بالسجود أمامه، وغضب على مَن أبى واستكبر، وطرده من بابه؛ وباختصار، فإنّ كرامة الإنسان جديرةٌ بالإكرام والاحترام، ومن لم يحترم هذه الكرامة الإنسانيّة الفريدة وأهانها، فلن يكون له مصير أفضل من مصير الشيطان.

إنَّ روح الامتنان وتربية جيل ممتن وعارف بالجميل، هو من الآثار الأخرى لحفظ الكرامة؛ لأنّ من سمات الإنسان الكريم النفس معرفة القيم وحسن استخدام المواهب، والجهد للوصول إلى المكانة التي خططها الله له، وهما من أهمّ مصاديق عرفان الجميل. إنّ التجاوز عن ذنوب الآخرين وأخطائهم والصبر والإحسان إليهم من فضائل الإنسان الكريم، ممّا يجبره على الصفح في أعلى مراتب القدرة، والشعور بمتعة العفو والإحسان والإنفاق، ويرفع من درجاته. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

الْكَرِيمُ مَنْ بَدَأَ بِإِحْسَانِهِ.[1]

ومن آثار احترام الذات وعامل نجاح الإنسان في الحياة البساطة والصدق في التعامل والتواصل مع الناس. والمعاملة الكريمة مع الآخرين توجب الابتعاد عن المكر والنفاق. ومن نتائج احترام الذات الوفاء بالعهود والالتزام بالعقود الصحيحة بين الناس، مما يضمن حقوق الآخرين؛ لأنّ الكريم لا يجعل نفسه في مظانّ تهمة الناس، والوفاء بالعهد من آثار الكرم.

ومن علامات الكريم هو ضبط هوى نفسه، لأنّه يسيطر على لسانه وغضبه وميوله. ومنها: اللطف والأخلاق الحميدة، ومنها: الخُلق الحسن والليونة، فإنّ الكريم خلوق لين العريكة يعامل الناس بلطف وحكمة. ومن علامات اللئيم القساوة والعنف، كما يمكن أن يكون من آثار عقدة الدونيّة. فقد روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال:

الْكَرِيمُ يَلِينُ إِذَا اسْتُعْطِفَ وَ اللَّئِيمُ يَقْسُو إِذَا أُلْطِفَ.

١. غررالحكم ودرر الكلم ٢٤١/١.

لأنّ الكريم هو إنسانٌ بسيطٌ وبعيدٌ عن العقد والنفاق والنوايا السيئة[١].

وقال الإمام علي عليه السلام:

وَمِنَ الْكَرَمِ لِينُ الشِّيَمِ[٢].

٢-٥) تنمية الشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة

الإنسان كائنٌ اجتماعي فطرةً، وهذه الحقيقة تتجلّى في صورتين: إحداهما أنّ كلّ إنسانٍ يميل للانتماء إلى المجتمع ويريد أن يكون له حياة اجتماعيّة ويصعب عليه أن يعيش بعيداً عن الآخرين، والأخرى هي أنَّ كل إنسان يشعر بالمسؤوليّة تجاه الآخرين ويعتبر نفسه مؤثّراً في مصيرهم كما أنّهم مؤثّرون في مصيره. وإنّ حفظ كرامة الإنسان يزيد من هذا الشعور بالانتماء إلى الاجتماع والمسؤوليّة تجاه سائر الناس، ولهذا تؤكّد التعاليم الدينيّة المبنية على كرامة الإنسان على المسؤوليّة الاجتماعيّة، والتي تعدّ من أهمّ أهداف التربية الإنسانيّة. والشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة هو جانب إنسانيٌ فطريٌّ موجودٌ في شكل نزعةٍ وقدرةٍ في كلّ فردٍ، وبالتالي، سمي الإنسان «مدنيًّا بالطبع». فيمكن أن يكون تحقيق هذه القدرة وتفعيل هذه النزعة تمهيداً للتغييرات التربويّة وظهور القدرات الكامنة فيها بالقوّة[٣]. والشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة هو في الواقع شعورٌ بالالتزام بعمل أو ردّ فعلٍ في مواقف مختلفة بسبب مراعاة الآخرين، وبالتالي فهي الشعور بالتعهد والالتزام تجاه الآخرين واتباع القواعد والمعايير الاجتماعيّة والوعي بالقواعد الجماعيّة التي تتجلى في فكر الإنسان وسلوكه[٤]. والذي يمكن رؤية آثارها بطريقةٍ

١. بحار الأنوار ٣٧٨/٧٨.

٢. المصدر نفسه ٢٠٨/٧٧.

٣. هميشه بهار، اخلاق وسبك زندگی إسلامي.

٤. بررسي ميزان توجه به مؤلفه‌های مسئوليّت‌پذيری اجتماعی در محتواي برنامه درسي دوره متوسّطه نظری إيران در سال ١٣٩٠- ١٣٨٩.

شاملةٍ في حياة الناس وبأبعاد فكريّة واجتماعيّةٍ ودينيّةٍ وفنّيّةٍ وأخلاقيّة مختلفةٍ[١].

إنّ الإنسان لوحده غير قادرٍ على تلبية حاجاته، بل يحتاج إلى التعاون مع الآخرين في رفع حاجاته، سواء أمادية كانت كالمأكل والملبس والمسكن وما شابه ذلك، أم معنويّة كالعزّة والكرامة والصداقة والمحبّة وغيرها، فهو يحتاج إلى شخصٍ يحبّه وهو يحبّه أيضاً، فلا مناص للإنسان من الحياة الاجتماعيّة، وهو مدينٌ للمجتمع في كثير من مواهب حياته، كيف لا وهو يتلقّى باستمرار بركاتٍ من الآخرين. وفي ظلّ التفاعل مع المجتمع يتحرّر من الحزن وقلق الوحدة، وترتسم ابتسامة على شفتيه، وتزداد معرفته وخبرته ووعيه، وهكذا يشعر بيد الرحمة الإلهيّة، كما قال رسول الله ﷺ:

يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ[٢].

ولا شك أنّ الثمار التي يجنيها المرء ببركة التواصل مع المجتمع تشكّل في نفسه إحساساً بالمسؤوليّة تجاه الناس، وفي هذا الصدد، فإنّ أقلّ واجبٍ يشعر به هو الكفّ عن أذى الناس. إذن لن تكون مراعاة حقوق الآخرين ذات مغزىً ولن ينكشف شر الظلم إلّا في ظل الشعور بالمسؤوليّة تجاه المجتمع، ولهذا السبب تتأذّى روح الإنسان عندما يرى معاناة الآخرين من الجوع والفقر والحزن في وجوههم، وتصبح «اللامبالاة» كلمة مجهولة بالنسبة له[٣]. وهذا الجانب من جوانب المسؤوليّة للفرد تجاه المجتمع يُتناول في سياقات اجتماعيّة مختلفة، أهمّها المسؤولية تجاه أنبياء الله، أي: القرآن ورسول الله ﷺ وأئمّة الهدى عليهم السلام وطاعتهم. وأمّا الجوانب الأخرى للمسؤوليّة الإنسانيّة فيما يتعلّق بالآخرين فهي تشمل جميع العلاقات الأسريّة وأولي القربى والجيران والطبقات المحرومة والمؤمنين والحكومة وحتّى البشريّة بأجمعها، حيث تقام بطرقٍ شتّى، نحو: حفظ الكرامة والمحبّة وأداء الحقوق وإقامة العدل والقسط والتعاون والهداية[٤].

١. بررسي عوامل تربيتي وروان شناختي مؤثر بر دين داري دانشجويان.
٢. ميزان الحكمة ٥٣٧/٢.
٣. سبك زندگي مطلوب بر اساس ديدگاه ارتباطي.
٤. بحار الأنوار ٣١٦/٧١.

إنّ حفظ كرامة المرأة، هو من المفاهيم التي ورد التأكيد عليها في الثقافة الإسلاميّة كثيراً وهي من القيم التي يجب أن تحظى باهتمامٍ خاصٍّ؛ لأنّ فهمها الدقيق واكتشاف علاقتها بالعناصر التربويّة الأخرى أمرٌ ضروريٌّ، ويجب بذل الجهود لإيجاد طرق لتحقيقها وتوسيعها. وإنّ التدقيق في آثار أصل الكرامة في تكوين الإنسان، والتي تبدأ من الله وتتبلور في النبوّة الإلهيّة، يحتاج إلى استمراريّة واهتمام بالغ، فإنّ الكرامة تحمي العديد من القيم الإلهيّة والإنسانيّة، والاهتمام بها والمحافظة عليها فريضة على كلّ مسلمٍ ومسلمةٍ؛ لأنّها تواجه عوامل مثل الجهل والانحراف عن الفطرة الإنسانيّة والغفلة والفساد واللامبالاة وانتهاك القانون والذلّ أمام الأعداء والاغتراب الاجتماعي وتبنّي المعتقدات الباطلة، ولكلّ منها دورٌ فاعلٌ في إسقاط الإنسان. إنَّ الكريم هو حامٍ للشؤون الفرديّة والنظام الاجتماعي، وأمّا اللئيم فهو أكبر ضررٍ على المجتمع. هذه الحقيقة تحوّل الكرامة إلى حاجة أساسيّة في التربية الاجتماعية، وإنّ الكرامة هي ما يصطلح عليها في علم النفس «احترام الذات» كضرورةٍ تربويّةٍ. وبناءً عليه، يجب على المرء أن يجتهد في تربية جيلٍ كريمٍ وصون كرامة الإنسان من أجل إنشاء مجتمعٍ عزيزٍ على منحى الكمال، كما يجب على الساسة العناية بهذا المهمّ؛ لأنّ المجتمع البشري يحتاج إلى نظامٍ يتّجه فيه الناس نحو الكمال الفرديّ والجماعي ويسوده الاحترام ومراعاة الحقوق.

وفي الدراسة الحالية، تمّ الكشف عن العنصر الأساس لحفظ كرامة المرأة، ألا وهو الوعي بمواهبها الفطريّة، والعناية بقدراتها المكتسبة، والالتفات إلى آثار الكرامة، وتنمية الحياء، وتعزيز احترام الذات لديها، كما أنّ أحد المكوّنات المهمّة الأخرى لحفظ كرامتها هو معرفتها بحقوقها وأدوارها التربويّة في نمط الحياة الإسلامي، بما في ذلك السلوك المعتزّ في الحياة، واجتناب المعاصي، وزيادة الشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة، ويمكن لهذا العنصر تمهيد منحى حياة نساء المجتمع من أجل نيل السعادة والحياة الطيّبة.

مصادر البحث

القرآن الكريم (١٣٨٨). ترجمة: الشيرازي، ناصر مكارم. قم: أسوة.

١. الآمدي التميمي، عبد الواحد (١٣٧٣). غررالحكم ودرر الكلم. شرح: خوانساري، محمّد تقي. طهران: جامعة طهران.

٢. أكبري، محمد رضا (١٣٧٦). تحليل نو وعملي از أمر به معروف ونهي از منكر. طهران: پيام عترت.

٣. إكلشال، روبرت (١٣٨٥). مقدمه اي بر ايدئولوژى هاى سياسى. ترجمة: قايد شرفي، محمد. طهران: نشر مركز.

٤. الحرّاني، حسن بن علي بن شعبة (١٤٠٤ق). تحف العقول. قم: جامعة المدرسين.

٥. حيدري فرد، معصومة (١٣٩١). حيا از منظر آيات وروايات، آثار وپيامدهاى فردى واجتماعى آن. رسالة ماجستير المعارف. مدرسة السيدة زينب عليها السلام العلميّة: مشهد.

٦. دي بوفوار، سيمون (١٣٨٥). جنس دوم: حقايق وأسطوره ها. ترجمة: صنعوي، قاسم. طهران: نشر طوس.

٧. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٦). المفردات في غريب القرآن. بيروت: دار العلم، الدار الشامية.

٨. رشاد، علي أكبر (١٣٨٠). موسوعة الإمام علي عليه السلام. طهران: معهد الثقافة والمعرفة الإسلاميّة للبحوث.

٩. سبحاني نجاد، مهدي، وآبنيكي، زهرا (١٣٩١). بررسي ميزان توجه به مؤلفه‌هاى مسئوليّت‌پذيرى اجتماعى در محتواي برنامه درسي دوره متوسّطه نظرى إيران در سال ١٣٩٠- ١٣٨٩. مجلة انديشه هاى نوين تربيتى، ١(٨). ١٠٦ - ٥٩

١٠. سليماني أردستاني، عبد الرحيم (١٣٨٥). آشنايى با أديان (الكتاب المقدس). قم: انجمن معارف إسلامي إيران.

١١. شريفي، أحمد حسين (١٣٩١). هميشه بهار، اخلاق وسبك زندگى إسلامي. قم: معارف.

١٢. شيرواني، علي (١٣٨٥). نهج الفصاحة. قم: دار الفكر.

١٣. طاهري، أبوالقاسم (١٣٨٤). آسيب شناسي شخصيت وكرامت إنسان. مجلة البحوث الفقهية، ٣(١)، ٦١ -٨٠.

١٤. الطباطبائي، محمّد حسين (١٣٨٢). الميزان في تفسيرالقرآن. قم: إسلامي.
١٥. عالميان، علي أكبر (١٣٨٧). كرامت إنسان در نهج البلاغة. مجموعة مقالات أصول ومباني كرامت إنسان. طهران: نشر عروج.
١٦. فقيهي، علي نقي.، وشكوهي يكتا، محسن (١٣٩٢). بررسي عوامل تربيتي وروان شناختي مؤثر بر دين داري دانشجويان: برداشتي از أحاديث. مجلة پژوهشهاى كاربردى روان شناختى، ٢(٤)، ١١٥- ١٣٢.
١٧. فيض الإسلام، علي نقي (١٣٨٣). ترجمة وشرح نهج البلاغة. طهران: فقيه.
١٨. كاوندي، زينب.، وصفورائي، محمّد مهدي (١٣٩١). عزت نفس، احترامي به ملكوت خويشتن با نگاهي از دريچه روان شناسي ودين مجلة طهورا، ١٢(٤)، ١٦٥- ١٩٠.
١٩. جراي، بن وات (١٣٨٤). زنان از ديد مردان. ترجمة: پوينده. طهران: جامي.
٢٠. المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (١٣٧٢). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢١. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٣). بحار الأنوار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٢. محمدي الري شهري، محمد (١٣٩١). ميزان الحكمة. قم: دارالحديث.
٢٣. المصطفوي، حسن (١٣٨٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم. طهران: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.
٢٤. المطهري، مرتضى (١٣٩٠). التعليم والتربية في الإسلام. طهران: صدرا.
٢٥. المطهري، مرتضى (١٣٩٣). فلسفة الأخلاق. طهران: صدرا.
٢٦. معتمدي، عبد الله (١٣٩٢). سبك زندگي مطلوب بر اساس ديدگاه ارتباطي. مجلة فرهنگ مشاوره وروان درماني، (٤)١٤٢.١٣ -١٢٥
٢٧. معلوف، لويس (١٣٨٨). المنجد. ترجمة: بندر ريگى، محمّد. قم: إسلامي.
٢٨. الموسوي الخميني، روح الله (١٣٨٥). صحيفة الإمام. طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.
٢٩. الموسوي الخميني، روح الله (١٣٩٣). جايگاه زن در انديشه إمام خميني. طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

٣٠. موسوي، رضا.، ومتقي فر، غلامرضا (١٣٩٠). شخصيّت سالم در انديشه إسلامي، نگاهی به رابطه آن با نماز در دوران جواني. مجلة إسلام وپژوهشهای تربيتی، ٢(٣)، ٩٩- ١٢٣.
٣١. نجفي، حسن.، فقيهي، علي نقي، ورهنما، أكبر (١٣٩٤). راهكارهای ارتقاي سلامت رواني فرزندان؛ برگرفته از سبك زندگی أهل بيت عليهم السلام. مجلة مطالعات إسلام وروان شناسي، ١٦(٩)، ٧٩ - ١٠٤.
٣٢. نجفي، محمّد. ومتقي، زهرة (١٣٨٩). تربيت كريمانه در إنسان شناسي إسلامي. مجلة مطالعات إسلامي در علوم رفتاري، ٢(١)، ٧١ - ٩٨.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی